الأزهر مدَّةً، وأخذ بها الفقه عن البُرهان البيجوري، والشمس البَرماوي، والوليّ العراقي، وجماعة. وأخذ المنطقَ عن العزّ بن عبدالسلام، والنحو عن الشهاب أحمد الصَّنهاجي، والشمس الشَّنطوفي، والمحلِّي، والمُحبِّ بن نَصْر اللَّه، والشَّرف السُّبكي. وسمع الحديث عن جماعة، منهم الوليّ العراقي، والحافظ ابن حَجَر، وبرع في الفقه وأصوله والعربية، والفرائض، والحساب، والعروض، والمنطق، وغير ذلك. وتصدّر للإقراء، فانتفع به جماعة كالبَكْريّ، والجَوجريّ. وصنّف تصانيف. منها (ناسخ القرآن ومنسوخه) ونظم أبي شجاع، والناسخ والمنسوخ للبارزي، وشرح الرحيبة، والمنهاج الأَصلي، ومختصر ابن الحاجب، وتصريف ابن مالك، وإيساغوجي، والخزرجية، وغير ذلك. وعرف بالزهد والعبادة ومزيد التقشف، والإيثار، والانعزال، والإقبال على وظائف الخير مع قلّة ذات يده، بحيث لم يكن في بيته شيء يفرشه لا حصيرَ ولا غيره، بل ينام على باب هنالك، ثم حج في سنة ٨٥٧ سبعٍ وخمسين وثمانمائة، وزار النبي ﷺ، وانقطع بالمدينة المباركة وعظم انتفاع أهلها به، وحفظوا من كراماته وبديع إشاراته ما يفوق الوصف. وكان ذلك كلمة إجماع. وصار في غالب السنين يحجُّ منها، بل جاور بمكَّة في سنة ٨٧١ إحدى وسبعين وثمانمائة وامتنع من التحديث في المدينة النبوية أدباً مع أبي الفرج المراغي فيما قيل (قال السَّخاوي)، والظاهر أنه للأدب مع النبي ﷺ. (مات) بعد عصر يوم الجمعة تاسع رمضان سنة ٨٨٣ ثلاثٍ وثمانين وثمانمائة، ودفن بالبقيع بالقرب من قبر الإمام مالك. ومن نظمه في السبع المنجيات: [من الرجز]

الـمُـنـجـيـاتُ الـسَّـبـعُ مـنـهـا الـوَاقِـعَـةْ وَقَـبْـلَـهـا يـاسـيـنُ تِـلـكَ الـجـامِـعَـةْ
والـخـمـسُ الانـشـراحُ والـدخـانُ والـمـلـكُ والـبـروجُ والإنـسـانُ

٢٤

(أحمدُ بن إسماعيل بن عُثمان ابن أحمد بن رَشيد بن إبراهيم شَرَف الدين)[1]

التَّبريزيّ الكُورانيّ القاهريّ ثم الروميّ الشافعيّ، عالم بلاد الروم. (ولد) في سنة ٨١٣ ثلاث عشرة وثمانمائة بقرية من كوران، وحفظ القرآن، وتلَا السبع على القزويني البغدادي، وقرأ عليه «الكشاف» وحاشيته للتفتازاني. وأخذ عنه النحو مع علمي المعاني والبيان، والعروض، وكذا اشتغل على غيره في العلوم. وتميز في

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ١/ ٣٤١؛ كشف الظنون: ١/ ٥٥٣؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٩٢؛ معجم المؤلفين: ١/ ١٦٦؛ الأعلام: ١/ ٩٨.

الأصلين والمنطق وغيرها، ومهر في النحو والمعاني والبيان وغير ذلك من العقليات، وشارك في الفقه. ثم تحوّل إلى (حصن كيفا) فأخذ عن الجلال الحلواني في العربية. وجال في بغداد وديار بكر، وقدم دمشق في حدود الثلاثين، فلازم العلاء البخاري وانتفع به، وكان يُرجّح الجلال عليه. وكذا قدم مع الجلال بيت المقدس، وقرأ عليه في «الكشاف». ثم قدم القاهرة في حدود سنة خمسٍ وثلاثين وهو فقير جدّاً، فأخذ عن ابن حَجَر في البخاري و«شرح الألفية» للعراقي، ولازمه وغيره. وسمع صحيح مُسلم عن ابن الزركشي، ولازم الشرواني كثيراً، وقرأ عليه «صحيح مُسلم» و«الشاطبية». وأكبَّ على الاشتغال والأشغال بحيث قرأ على العلاء القَلقشندي في الحاوي. ولازم حضور المجالس الكبار كمجلس قراءة البخاري بحضرة السلطان وغيره. واتصل بالكمال البارزي فنوَّه به وبالزيني عبد الباسط، وغيرهما من المباشرين والأمراء بحيث اشتهر، وناظر الأماثل. وذكر بالطلاقة والبراعة والجرأة الزائدة، فلما ولي الظاهر جقمق وكان يصحبه، تردد إليه فأكثر وصار أحد ندمائه وخواصّه، فانثالت عليه الدنيا فتزوَّج مرَّةً بعد أخرى لمزيد رغبته في النساء مع كونه مطلاقاً. (قال السخاوي): وظهر لما ترفّع حاله ما كان كامناً عليه من اعتقاد نفسه الذي جرَّ إليه الطيش والخفة. ولم يلبث أن وقع بينه وبين حميد الدين النعماني المنسوب إلى أبي حنيفة والمحكي أنه من ذريته مباحث تَسطَّا فيها عليه، وتشاتما بحيث تعدى هذا إلى آبائه. ووصل علم ذلك إلى السلطان فأمر بالقبض عليه، وسجنه بالبرج. ثم ادعى عليه عند قاضي الحنفية ابن الديري، وأقيمت البينة بالشتم، وبكون المشتوم من ذرية الإمام أبي حنيفة، وعزّر بحضرة السلطان نحو ثمانين ضربة، وأمر بنفيه، وأخرج عن تدريس الفقه بالبرقوقية، فاستقر فيه الجلال المحلي (قلت): وقد لطف اللَّه بالمترجم له بمرافعته إلى حاكم حنفي، فلو روفع إلى مالكي لحكم بضرب عنقه. وقبح اللَّه هذه المجازفات والاستحلال للدماء والأعراض، بمجرد أشياء لم يوجب اللَّه فيها إراقة دم ولا هتك عرض، فإن ضربَ هذا العالم الكبير نحو ثمانين جلدة ونفيه، وتمزيق عرضه، والوضع من شأنه بمجرد كونه شاتم من شاتمه ظلمٌ بَيِّن، وعسفٌ ظاهر، ولا سيما إذا كان لا يدري بانتساب من ذكر إلى ذلك الإمام. لا جرم قد أبدله اللَّه بسلطانٍ خيرٍ من سلطانه، وجيران أفضل من جيرانه، ورزق أوسع مما منعوه منه، وجاء أرفع مما حسدوه عليه فإنه لما خرج توجه إلى مملكة الروم. وما زال يترقى بها حتى استقر في قضاء العسكر وغيره، وتحول حنفيّاً، وعظم اختصاصه بملك الروم ومدحه وغيره بقصائد طنانة، وحسنت حاله هنالك جداً بحيث لم يصر عند (السلطان مُحمَّد مراد) أحظى منه. وانتقل من قضاء العسكر إلى منصب الفتوى وتردّد إليه الأكابر، وشرح (جمع الجوامع) وكثر تعقبه للمحلي، وعمل تفسيراً، وشرحاً على البخاري، وقصيدة

في علم العروض نحو ستمائة بيت. وأنشأ باسطنبول جامعاً ومدرسةً سماها «دار الحديث» وانثالت عليه الدنيا. وعمر الدور وانتشر علمه فأخذ عليه الأكابر وحجّ في سنة ٨٦١ إحدى وستين وثمانمائة. ولم يزل على جلالته حتى (مات) في أواخر سنة ٨٩٣ ثلاثٍ وتسعين وثمانمائة، وصلّى عليه السلطان فمن دونه. ومن مطالع قصائده في مدح سلطانه: [من الطويل]

هُـو الـشـمـسُ إلّا أنـه الـلـيـثُ بـاسـلاً هُـوَ الـبـحـر إلَّا أنَّـه مـالـكُ الـبَـرِّ[1]

وقد ترجمه صاحب (الشقائق النعمانية) ترجمة حافلة. وذكر فيها أنَّ سلطان الروم (السلطان مُحمَّد) عرض عليه الوزارة فلم يقبلها، وأنه أتاه مرة مرسوم من السلطان، فيه مخالفة للوجه الشرعي فمزّقه. وأنه كان يخاطب السلطان باسمه ولا ينحني له، ولا يقبل يده بل يصافحه مصافحة. وأنه كان لا يأتي إلى السلطان إلا إذا أرسل إليه، وكان يقول له: مطعمك حرام وملبسك حرام فعليك بالاحتياط. وذكر له مناقب جمة تدل على أنه من العلماء العاملين لا كما قال السخاوي.

٢٥

(أحمد بن أُويس ابن الشيخ حَسَن ابن الحُسين بن أقبغا بن ايلكان بن القان، غياث الدين)[2]

صاحب بغداد وتبريز وسلطانهما. ملك بعد أبيه المتوفى بتبريز في سنة ٦٧٦ ستٍّ وسبعين وستمائة فأقام إلى سنة ٦٩٥ خمسٍ وتسعين وستمائة. ثم قدم حلب ومعه نحو أربعمائة فارس من أصحابه جافلاً من تيمورلنك حين استيلائه على بغداد لائذاً بالظاهر بَرْقُوق[3]. فأرسل الأمر بإكرامه. ثم استقدمه القاهرة وبالغ في إكرامه بحيث تلقاه. وأرسل له نحو عشرة آلاف دينار، ومائتي قطعة قماش، وعدة خيول، وعشرين جارية ومثلها مماليك. وتزوّج السلطان أختاً له وأقام في ظله إلى أن سافر معه حين توجهه بالعساكر إلى جهة الشام وحلب. فلما رجع عاد أحمد إلى بلاده بعد أن ألبسه تشريفاً، وتزايدت وجاهته وجلالته، فلم يلبث أن ساءت سيرته، وقتل جماعة، فوثب عليه الباقون وأخرجوه، وكاتبوا نائب تيمورلنك بشيراز ليستلمها ففعل، وهرب هذا إلى قرا يوسف التركماني بالموصل. فسافر معه إلى بغداد فالتقى به أهلها

(١) الباسل: من أسماء الأسد، سُمِّي بذلك لعبوسه وشِدَّته وشجاعته.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع: ١/ ٢٤٤؛ الأعلام: ١/ ١٠٢.

(٣) هو أبو سعيد، سيف الدين، برقوق بن أنص العثماني، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. توفي بالقاهرة سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. (الأعلام: ٢/ ٤٨).